الحلول والمبادرات لم يحن بعد، لا بالنسبة الى العرب وازماتهم المتداخلة، وقد استوعبوا هذه الحقيقة وكفّوا، جدياً، منذ كامب ديفيد، عن تحديها، ولا بالنسبة الى اسرائيل التي اصبح، عندها، البحث عن تحجيم نفوذ م.ت.ف. وزيادة القمع العسكري بتفعيل «القبضة الحديدية» في الارض المحتلة الرد على التحدي الناشىء. كما ان هانتر يفهم الانفراج الجديد في العلاقات بين العملاقين على انه ليس سوى مرحلة من مراحل العداء والحوار فيما بينهما، ويضعه في معادلة تقول، ان السياسة الاميركية في الشرق الاوسط، منذ مؤتمر يالطا الى عصر غورباتشيوف، كان هدفها حرمان الاتحاد السوفياتي من ان يكون شريكاً في حل نزاعات المنطقة، وان لا يجد له موطىء قدم فيها.

من هنا، أكد هانتر على ان تحرص الدبلوماسية الاميركية المقبلة على اضفاء قدر من الضبابية والغموض على تحرّكاتها[٣٨]، وان تقدمها الى الاطراف المعنيّة بالنزاع على شكل اكسير، هو مزيج من الافكار والمقترحات القابلة للنقاش، والاخذ والرد، على ان تؤدي هذه التحركات، التي قد تجرى بطريقة نصف سريـة ونصف علنيـة، الى التوصل الى اتفاق لتحريك عملية السلام. وهذا ما يدعو الادارة الجديدة الى «الحذر»، وليس الى السلبية، ولكي تكون هذه الادارة موضع التقدير، بوصفها مفاوضاً، ينبغي عليها ان تبدأ بكسب «ثقة» جميع الاطراف المعنيّة بالحل النهائي للازمة[٣٩].

امّا «ينبغيّات» الادارة المقبلة، فهي التأكيد ان هدف التحرك الاميركي العمل بحيث تنتهج جارات اسرائيل خيارات هذه الاخيرة في كل الميادين الممكنة، والى أبعد حدّ ممكن. ان مثل هذا الوضع يضمن لواشنطن موقعاً منحازاً الى جانب اسرائيل، ويتيح، بدوره، فرض تسوية تضعها الولايات المتحدة، ويتيح، ايضاً، اختبار المواقف السوفياتية ازاء المنطقة[٤٠].

من المشاريع الى الممارسة

حاولنـا، فيما سبق، ابراز الخلفية الفكرية التي باتت الادارة الاميركية الحالية تستلهم منها العديد من منطلقاتها الاساسية، والكشف، في المقابل، عن بعض اسرار «التباطؤ» و «الحذر» اللذين رسما التحرك الدبلوماسي الاميركي ازاء الشرق الاوسط. بيد ان التحرك الدبلوماسي المذكور قد انجز مرحلة سحب كل الخيـوط الى عمق مكوكيات عمله، او، بمعنى آخر، استيعاب حركية الاطراف في الحضن الاميركي، ويبقى على الادارة الجديدة تشغيل آليتها الخارجية لتبدأ المرحلة الثانية، مرحلة تعقيد الخيوط، او نسجها، على مهل. والسؤال هو: كم يستغرق هذا من الوقت ؟

قد يكـون ارون ديفيـد ميلر، العضو الناشط في دائرة التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الاميركية، من ابرز منظّري الحقبة الجديدة. ان نقطة الانطلاق الاساسية في تحليله، هي ان ثمة تحدياً يواجه الولايات المتحدة يتمثّل في تحويل الاثر الايجابي الذي طرأ على المواقف العربية ازاء اسرائيل الى مكاسب سياسية تكتسب صفة الدوام والثبات؛ وهذا يعني المضيّ، قدماً، في صنع عملية السلام في المنطقة، الاّ انه رأى عدداً من المعضلات تقف في طريق تحقيق ذلك، لكنه مرّ بهذا التحوّل مروراً عابراً، يكاد ان يمسخه صفراً، ثمّ قفز من فوقه بكل لطف، واودعه رفوف النسيان، ليؤكد أن معاهدات السلام العربية ـ الاسرائيلية اكثر شكل مرغوب من اشكال التعايش، لكنها ليست اسهلها في التحقق. لماذا؟ لأن الاطراف الاقليمية نفسها والوسيط الخارجي على حدّ سواء، لا بدّ ان يتعاملوا مع نزاع عربي ـ اسرائيـلي يقـع في منطقة ما بين الحل الرسمي والمواجهة المباشرة، ذلك ان حالة اللاحرب واللاسلم لا تقضي على فرض ابرام معاهدات سلام اضافية، وان كانت تشير الى ان النزاع ذاته يمكن ان يبقى مهملاً لفترة طويلة من الزمن[٤١].